فراء عيبه
على حافة الموت

فداء هيبه – على حافة الموت

فداء هيبه ، من مواليد ١٩٩٨ .
محافظة الجيزة .
طالبة بالصف الثاني الثانوي .
اشتركت في كتاب (فيكشن عربي) .
اشتركت في مسابقة ساقية الصاوي .
للتواصل :
facebook.com/fedaa.hayba.5

الإهداء ...

إلى أستاذ اللغة العربية الذي سخر مما أكتب ، وقال يومًا إنني لن أخط حرفًا ، وإنني يومًا لن أصل .. أخبرك بأنني لأول الطريق وصلت .. شكرًا لأنك ذات يوم كنت دافعًا !

على حافة الموت

تحتضن قدميها إلى صدرها متخذة وضع جنين في رحم أمه ، وتبكي أيامها في صمت ترتجف له الأبدان ، تسمع صراخًا في الخارج ، وقلبها يرتجف بخوف ، منتظرة مصيرًا تعلم أنه حتمًا نهايتها ، لن تحيا أكثر من بضعة أيام أخرى .. إن لم تمت قتلًا ستموت حسرة وظلمًا .

صراخ والدها يعلو بكل أنواع السباب وصوت أخوتها لا يهدأ ، قلبها أيضا لا يهدأ ، ولا يكف عن الأنين ، يلعنونها في اليوم ألفًا وكأنها الجاني ، وهي الضحية !

الطرقات على باب غرفتها تكاد أن تخلعه لكنها تخشى أن تفتح الباب ، تعلو الطرقات ويعلو معها دبيب قلبها ، تزداد الأيادي التي تحثها على فتح الباب ، فتزداد هي انكماشًا ، أصبحت تخشى الظل والنور ، لا تعلم على ماذا يعاقبونها !

أغلقت أعينها في ألم وهي تخشى تذكر ما حدث .. ما ذنبها إن كانت هي الضحية في مجتمع يراها دائمًا مخطئة في كل الأحوال .. هي المخطئة !

لم تفعل ما يحسب عند الله ذنبًا ، فلماذا يصرون على أن ما أصابها ذنب عقابه القتل ؟!

الصور تتداخل في رأسها .. مشاهد متقطعة يتبعها في الخلفية صوت صراخها يقطع أوتار حنجرتها ، كان يقترب منها مكممًا فاها ، وهي لا تقوى حتى على الصراخ .. لم يسعفها أحد ، لم تسعفها نظرات عينيها المتوسلة ، ولا بكاؤها الصامت .. تستجديه أن يتركها فلا يأبه .. تستحلفه بحبها له لكنه سلب عذريتها فسلب معها حياتها .

يومها عادت إلى المنزل بثوب ممزق وبدن مرتجف ، وارتمت بين ذراعي والدتها وهي تنتفض وتبكي لتحكي لها ما حدث بصوت يدعو إلى البكاء .. لم تضمها والدتها ، لم تضمد جراحها ، لم تصرخ ، ولم تبكِ .. فقط صفعتها لاعنةً ، متهمةً إياها بأنها جلبت لهم الفضيحة .

ظنت أنها ستجد ذراعين يحتضناها ، وقلبًا يفهمها ، فوجدت كفًا يرتسم على وجنتيها .. لماذا ليس من حقها أن تأخذ حقها ؟ لماذا ليس من حقها أن ترفع دعوى ؟ أن تسجن مغتصبها .. أن تلعن .. أن تقدمه لحبل المشنقة ؟! لماذا ليس من حقها أن تُري وجهها إلى الآخرين بعد اليوم ؟ لماذا عليها أن تصمت وهي المظلومة .. إلا أنهم جعلوها مسخًا ظالمًا !

لماذا يجني عليها المجتمع وهي الضحية ؟!

ذهبت إلى غرفتها بخطى ثابتة لتنهار على أعتابها وتغلق الباب بالمفتاح .. احتضنت وسادتها بثوب ممزق وروح مشتتة ، بكت كما لم تفعل من قبل ، التصقت بالحائط وبكت من جديد .
كم ساعة مرت وهي هنا وحيدة في تلك الغرفة ؟ لا تعلم .. لربما يكون الزمن قد توقف ، فحياتها توقفت منذ ساعات ، لكنها تسمع أصواتًا في الخارج .. أباها .. أخوتها كلهم يلعنون .. كلهم يسبون .. يرددون أنها جلبت لهم العار لكن ما ذنبها ؟!
لا تستطيع حتى استيعاب ردودهم ، صرخت :

- أنا الضحية .. أنا الضحية .

وهل من سامع ؟!

غابت في بكاء جديد ، يعلو الطرق على الباب من جديد فترتجف، وفجأة أضيئت مصابيح غرفتها لترى الظلال تحيطها .. انخلع قلبها ، وغادرتها الروح وارتعد جسدها ، فقدت ذاكرتها لثوانٍ وهي ترتجف خوفًا ، الشرر يتطاير من الجمع حولها ، انهالوا عليها بضرب عنيف أدمى جسدها وروحها ، حتى فقدت الوعي فنقلوها إلى المشفى بكدمات في كل مكان ترسم على أرجائها وجعًا جديدًا ، أما يكفيها وجع الأمس !

فجاء اليوم ليقضي على بقاياها ، أفاقت من إغمائها ولم تفق بعد من أوجاعها ، لتجد الغرفة من حولها بيضاء فتدرك أنها في المشفى .. تذكرت ما حدث لتبدأ في البكاء من جديد ، اغتصب حيوان بشري جسدها واغتصب أهلها روحها .

"إلى متى تبقى المرأة هي الجانية - وإن كانت بريئة ؟ إلى متى يقع اللوم عليها ؟ إلى متى تكون الجاني وهي المجني عليها ؟!
أنا بريئة .. بريئة من تفكيركم ، من غبائكم ، بريئة من ذنب ألصقتموه بجسدي ، بريئة من جهل يسكن عقولكم، أنا المجني عليها .. أنا الضحية .
أقسم أنني لم أجلب لكم عارًا أو فضيحة ، أقسم أن لي حق وسأقتص ممن ظلمني عند رب العالمين".

كتبت تلك الورقة بأيد مرتجفة ، وخط بالكاد يقرأ ، ثم أمسكت بقطعة من الزجاج التي كسرتها من المرآة ، وقطعت شريان حياتها وهي تردد :

- سامحني يا الله .. سامحني يا رب .

كوني قوية

خلف باب غرفتها وقفت ، تسترق السمع ، تحاول أن تلتقط أي كلمة لتعرف ما يحدث .. الكلمات تتفاداها فلا يمر إلى أذنيها سوى ظلالها ، فتحاول أن تكون منها جملًا مفيدة لتفهم ما يحيكونه لها في غيابها .

ما فائدة تكوين جمل مفيدة إن لم تستطع أن تجد حلًا مفيدًا ينقذها من شباكهم ؟!

رأته .. رأته بثوبه الأبيض الذي يطابق لونه لون الشيب الذي غزا رأسه ، كان ينظر إليها متفحصًا ، نظراته تمزق جسدها وتخترقها ، يعبر عتبات منزلهم القديم لكنه يعرف تمامًا إلى أين يذهب .

سيارته الفارهة التي لا تعرف من أي نوع هي تقف أمام باب منزلهم ، وكل من في الشارع ينظر إليها بانبهار مختلط بتساؤلات تطل من نافذة أعينهم لكنها لا تعبر أبدًا إلى شفاهم .

دخل المنزل الذي لا يساوي من المال شيئًا في نظره ، في العقد الخامس هو إن لم يكن أكبر ، لم يكن كل ذلك ليستعير انتباهها أو يجعلها تشك في شيء لكن تلك الجملة التي التقطتها أذنها وهي في الطريق إلى غرفتها

جعلت الدماء في عروقها تثور ، كلمة أطلقها لسانه فكانت كسهم يخترق قلبها ويعصف بكيانها .
من هذا ومن أين جاء ليحل بمصائبه فوق رأسها وعلى أي عروس يسأل ؟ هي الوحيدة في شبه المنزل ذاك دون أخوة أو أم .. على أي عروس يسأل إن لم تكن هي ؟! أي جنون هذا الذي يقوله ؟ ولماذا يوافق والدها على مثل ذاك الهراء ؟! أيبيع ابنته لذاك الثري من أجل بعض المال ؟ أيحب المال أكثر من ابنته التي من صلبه خرجت ؟ أيبيعها كما تباع الأحذية على الأرصفة ؟! لماذا تشعر في تلك اللحظة أنها كجارية في سوق الرقيق ؟ ألأنها ستباع لمن يدفع أكثر ؟
يا إلهي ، ماذا عليها أن تفعل ، وكيف تنجو من ذاك الكمين الذي يسحق كرامتها ويفني أنوثتها ؟

لن ترضى أن تكون أبدًا بضاعة مباعة ، ستقاوم حتى النهاية ، ستواجه الجميع وإن كان عقابها قاتلًا ، لن ترضخ لأبيها أبدًا ، ستقف في وجهه حتى النهاية ، وإن كانت تلك آخر لحظة في حياتها ستقضيها مواجهة صامدة .

أغلقت عينيها بألم وهي تردد :

- كوني قوية .. أرجوكِ كوني قوية !